وتاريخ البورجوازية العربية في المضاربة على التناقضات الدولية ، تاريخ طويل . لعل من أبرز أمثلته لجوء مصطفى كامل — رئيس الحزب الوطني المصري — في مطلع هذا القرن الى فرنسا الاستعمارية تحت وهم الاستعانة بها على الامبريالية البريطانية التي كانت تجثم على صدر الشعب المصري آنذاك . والمثل البارز الثاني ، كان لجوء الحاج امين الحسيني — مفتي القدس ورأس الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة — في أواخر الثلاثينات الى المانيا النازية ، طمعا في مناصرتها للحركة الوطنية الفلسطينية !

ولعل فيما يقوله أحد الكتاب المصريين ما يلقي المزيد من الضوء على توجه البورجوازية العربية المعاصرة هذا ، اذ يقول ... والعالم كله لا يقابل هذا الارتباط (يقصد التعايش السوفياتي الامريكي) بارتياح ، حتى لو افترضنا انه ارتباط يؤكد السلام العالمي . وعدم الارتياح يرتبط بالمصالح الواقعية لكل دولة وما يمكن ان تتأثر به نتيجة هذا الارتباط ... أما الدول الصغيرة النامية — ونحن منها — فلا شك انها اكثر قلقا من هذا الارتباط ... فان الدول النامية او معظمها ، أقامت اسلوبها السياسي الدولي على وجود تصارع بين الدولتين ، بحيث تستطيع من خلال هذا التصارع أن تحقق مصالحها الذاتية ، حتى مع افتراض أن الدولتين لن تقدما على مواجهة احداهما الاخرى عسكريا . ولا شك أن هذا الارتباط الجديد قد قضى على التصارع الدولي في صورته الكاملة ، ولم يبق منه الا فقاعات تصارع ، لا تؤثر في اتخاذ أي موقف جدي من احداهما تجاه الاخرى خاص بأي قضيـــة عالمية . أي ان هذا الارتباط يمكن ان يكون عملية تقسيم سياسي بـــين الدولتين الاعظم للاشراف على مصير العالم ، استكمالا للتقسيم الجغرافي الـــذي تم باتفاقية يالتا ، التي اعلنت أيام الحرب العالمية الاخيرة . وهو ما يتطلب مـــن الدول النامية ان تعدل وتغير كل استراتيجيتها ، وفي كل تكتيكاتها ، وفي كل أهدافها. كما حدث بين كوريا الشمالية والجنوبية ، وكما حدث لالمانيا ، وكما حدث في كل مكان تعود ان يبني نفسه على تصارع الكتلتين العالميتين »(٦).

واذا كان الجزء السابق من مقالنا فيه ما يرد على معظم ما قاله عبد القدوس هنا ، فان ثمة مسألتين ، مما اثاره من مسائل ، تحتاجان الى بعض التوضيح والتعليق . الاولى تلك الخاصة بتقسيم العالم السياسي والجغرافي بين أمريكا والاتحاد السوفياتي . والثانية اضطرار الدول النامية الى تغيير استراتيجيتها وكل اهدافها . فبالرغم من كون الاتحاد السوفياتي طرفا أساسيا في علاقات القوى الدولية ، بطبيعة ضخامة تأثيره، كما وكيفا، الا انه ليس ثمة ما يربطه بمناطق النفوذ — التي دأبت الدول الاستعمارية على تقسيمها واقتسامها فيما بينها — وذلك بحكم طبيعة نظامه الاشتراكي . وما العلاقات الامريكية — السوفياتية الجديدة الا صياغة جديدة للعلاقات الدولية،فرضتها ظروف سبق الاشارة اليها . ولم يصبح النظامان الاشتراكي والرأسمالي — ولن يصبحا — سمنا على عسل . وسيظل التناقض بينهما قائما طالما بقيت الرأسمالية ، بل هو التناقض الرئيسي الذي ما فتىء يحكم عالم اليوم . وليس التعايش السلمي الجديد ارتباطا ولا تواطؤا ، كما انه ليس — ابدا — بداية النهاية للثورة الاشتراكية والصراع الطبقي . والتعايش لا يلغـــي التناقضات بين النظامين . وكل ما في الامر ان المرحلة الجديدة ترمي الى تجنب الصدام والتحكم في أسباب المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واذا كـــان مفهوما ان تغير بعض الدول في تكتيكاتها ، فليس هناك ما يبرر تغييرها لكل استراتيجيتها وكل أهدافها !! فالاستراتيجيات والاهداف ثابتة ، والتغيير لا يلحق الا بالاساليب ، بالتكتيكات .

وليس دافع هذه الاجنحة من البورجوازية للتعلق بسراب التسوية السلمية مجـــرد الضحالة الثورية وحسب ، بل عشمها — أيضا — ان يعيد التاريخ نفسه ، فتنجح في التوصل الى مثل تسوية العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ . وتجهل هذه الاجنحة — وربمـــا